وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الاستفهـــــام
في سورة آل عمــران
أغراضـــه ودلالتـــــــه

د. ماجد محسن راشد

جامعة واسط/ كلية التربية الأساسية

1430هـ **2010م**

Abstract

My research which is under the title ((the interrogation in imaran sara)) verse is but a survey to what occurad in the sara of question tools and the phrases. I dedicated my research to study the question tools from the aspect of the variety of their referential purposes. I figured out throughout my research that cach ((tool tools question phrase)) has more than one purpose in the same koranic context I arranged the usage of these tools on the alphabetic order. After wards I discussed and extended the explanation by having the scientists opinions in decoding the koranic context of this soravese to enhance the knowledge of the tools purposes and referential pefomance. I picked tow examples for each question tool despite the fact that the sara did not contain many the total occurance of question tools were eight with the repetition of some. A the end I mentioned the saurses I depended on in my research.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة:

الحمدُ للهِ الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، واصطفى نبيه محمداً من بين خلقه أجمعين، صلى الله عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين، وبعد.

كان في نفسي توق إلى دراسة أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، وكان هذا في مرحلة الماجستير، ولكن كانت هنالك عقبات حالت بيني وبين هذا الموضوع.

ولا بُدَّ في هذا المقام من القول إن ما في هذه الصفحات ليس توضيحاً لمعنى الاستفهام أو بيان حروفه، إنما دراسة لحروف الاستفهام التي وردت في سورة آل عمران، فدرستها من جهة الأغراض البلاغية فضلاً عن دلالتها المعنوية، وقد يكون فيها ما يلفت انتباه القارئ أو الدارس من جهة تعدد الأغراض لكل حرف ذكر في السورة، فهذا التعدد جلب اهتمامي للبحث فيها.

أما من حيث الدراسة لهذه الحروف، فإني رتبتها حسب الترتيب الهجائي للحروف بعدما أحصيتها في السورة. من ثم اخترتُ موضعين أو ثلاثة مذكور فيها حرف الاستفهام لدراستها ثم بسطتُ فيه أقوال العلماء وذلك لتتبين لنا الأغراض البلاغية والدلالية لهذا الحرف، وكذلك ذكرتُ أقوال بعض النحاة في ذلك.

وأحبُّ أن أذكر أني لم أتعرض لأسلوب الاستفهام بالتفصيل، لأنَّ هذا الموضوع تناولته أقلام الباحثين كثيراً.

الاستفهام:

هو كلام معقود على الشك، فهو يشترك مع الشرط في هذا المعنى، وكلاهما يتصدر جملته. قال الجرجاني: (وبينهما من المناسبة ما لا يخفى ألا ترى أنك إذا قلت: أضربت زيداً ؟ كنت طالباً ما لم يستقر عندك، كما أنك إذا قلت: (إن تضرب زيداً اضرب) كان كلاماً معقوداً على الشك، من حيث إن كل واحد من الشرط والجزاء علّة لصاحبه، وليس قصدك أن تثبت الضرب على الإطلاق) [1]. فالاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل.

وذهب النحاة إلى أن الاستفهام يجب أن يكون له الصدارة في الكلام وذلك لتفيد معنى الاستفهام في الجملة المستفهم عنها، ولأنها إذا تقدم عليها شيء من الجملة فقدت الدلالة على معنى الاستفهام [2].

وحروف الاستفهام كثيرة ولها أغراض ودلالات معنوية متعددة. وسأتطرق إلى الحروف التي ورد ذكرها في السورة حسب الترتيب الهجائي، وهي كما يأتي:

1- الهمزة: " هي من حروف الاستفهام، وتأتي لمعانٍ عدة منها أن تكون للإنكار، وللتوبيخ، والتعجب، والتقرير، والتحقيق، والتسوية، وما إلى ذلك من معانٍ (3)، وهي أكثر حروف الاستفهام وروداً في سورة آل عمران، إذ ذُكرت إحدى عشرة مرة، ومنها:

أ- قال تعالى ﴿ ***فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ*** ﴾.(4)

جاءت همزة الاستفهام في هذه الآية لمعنى تريد تحقيقه، فبدخولها أضافت هالة وحسناً بلاغياً يتوقف عندها السامع بحيرة ودهشة حين ينصت لهذا الأمر الإلهي.

قال الزجّاج : (وحقيقة هذا الكلام أنه لفظ استفهام معناه التوقيف والتهديد، كما تقول للرجل بعد أن تأمره وتؤكد عليه (أقبلت.. وإلاّ فأنت أعلم) فأنت إنما تسأله متوعداً في مسألتك، لعمري هذا دليل أنك تأمره بأن يفعل) [5].

فالاستفهام جاء لمعنى الأمر وإلى ذلك ذكر الزمخشري في تفسيره قائلاً : (يعني أنه أتاكم من البيان ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة، فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم، وهذا كقولك لمن لخصْت له المسألة ولم تبقَ من طرق الكشف طريقاً إلاّ سلكته : هل فهمتها لا أمّ لك ومنه قوله تعالى ﴿ ***فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ*** ﴾ [6] بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميّسر، وفي هذا استقصار وتعبير بالمعاندة وقلة الإنصاف، لأنَّ المنصف إذا تجلّت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق وللمعاندة بعد تجلي الحجة ما يضرب أسداداً بينه وبين الإذعان، وكذلك هل فهمها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة. وفي (فهل أنتم منتهون) بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهى عنه) [7].

والأمر هنا ليس أمراً محضاً، بل هو أمر مصحوب باستفهام (8). فالهمزة في هذه الآية خرجت من معناها الحقيقي إلى غرض آخر لتؤدي معنىً بلاغياً مؤثراً وهو الأمر والتوبيخ.

ب- قال تعالى ﴿ ***يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ*** ﴾ [9].

وهنا أيضاً جاءت همزة الاستفهام في قوله (أكفرتم) لتؤدي غرضاً خرجت لأجله، فالزمخشري يرى أنها جاءت لتفيد التوبيخ والتعجب من حالهم (فيقال لهم أكفرتم) [10].

وذهب الزجّاج والطبرسي إلى أنها تفيد التقريع والمعنى : (لِمَ كفرتم).

وقيل المراد التقرير، والمعنى: قد كفرتم، لأنهم كفروا بالنبي وقد كانوا به مؤمنين قبل مبعثه [11].

ويرى أبو حيان أن الهمزة: (للتقرير والتوبيخ والتعجب من حالهم، والخطاب في (أكفرتم) إلى آخره يتفرع على الاختلاف في الذين اسودت وجوههم...) [12].

والهمزة هي أكثر حروف الاستفهام استعمالاً في سورة آل عمران، وذلك مرده إلى سياق السورة، فمرة تتحدث عن شيء عجيب فيه سؤال فيأتي الاستفهام بالهمزة متضمنة ذلك المعنى، ومرة يأتي للإنكار ومرة يأتي فيه تقريع وما إلى ذلك، فتكون الهمزة مناسبة لذلك، والله أعلم.

وقد ذكرت الهمزة في مواطن أخرى من سورة آل عمران وهي في الآيات 15، 23، 65، 80، 81، 83، 124، 144، 162.

2- أم:

وهي من حروف الاستفهام وتأتي على نوعين متصلة وتسمى المعادلة، ومنقطعة وتسمى المنفصلة، ويفرّق بينهما باعتبار ما قبلها وذلك أن ما قبل المتصلة لا يكون إلاّ استفهاماً لفظاً ومعنى، أو استفهاماً لفظاً لا معنى نحو: أزيد قائم أم عمرو ؟ وسواء عليّ أقمت أم قعدت. أما المنقطعة فيكون ما قبلها استفهاماً نحو قوله تعالى ﴿ ***هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ*** ﴾ [13]. ويكون خبراً نحو قوله تعالى ﴿ ***هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ*** ﴾ [14]. ويكون خبراً، نحو قوله تعالى ﴿ ***تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ*** ﴾ [15]. وهنالك فروق أخرى يطول الكلام في ذكرها مشروحة في مظانها [16].

ويكون الكلام في المتصلة واحداً، أي: أن ما قبلها متصل بما بعدها، وسميت بالمعادلة لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية والاستفهام.

أما المنقطعة فإن ما قبلها منقطع عما بعدها، والتي لا يفارقها الإضراب ثم تارة تكون له مجرداً، وتارة تتضمن مع ذلك استفهاماً إنكارياً أو استفهاماً طلبياً[17].

وقد ذكرت (أم) في سورة آل عمران مرة واحدة وذلك عند قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [18].

ذهب الطبرسي في إعراب هذه الآية إلى أن: (أم في قوله (أم حسبتم) هي المنقطعة، وتقديره: بل حسبتم. وهو استفهام على وجود الإنكار) [19]. ويكون المعنى: أي: أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد [20]، كما قال تعالى في سورة البقرة ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [21].

وعلى ما تقدّم تكون (أم) منقطعة تفيد الإضراب، وإلى هذا المعنى ذهب كثير من النحاة والمفسرين [22]، وهو مذهب البصريين [23].

وذهب الفراء إلى أن معنى (أم) في الآية هي (ام) المتصلة بقوله: معناه: أظنتم أن تدخلوا الجنة ولم يصيبكم مثل ما أصاب الذين قبلكم فتختبروا [24]، ومثله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا... ﴾ وإلى هذا المعنى ذهب السمرقندي في تفسير هذه الآية [25].

فالبصريون كما نقل ابن الشجري يرون أن (أم) دائماً تأتي لمجرد الإضراب والهمزة، والكوفيون خالفوهم في ذلك، إذ يرون أنها تأتي للإضراب وللاستفهام، أي: تأتي منقطعة ومتصلة.

والحاصل أن أهل البلدين اتفقوا على أن (أم) تجيء للإضراب المجرد ولكن اختلفوا أهي في هذه الحالة منقطعة أم لا ، وعلى هذا فالخلاف لفظي [26].

3- أنّى :

هو اسم استفهام يخرج للظرفية المكانية ، ويأتي على معنيين ، الأول أن يكون بمعنى : (من أين) ، والآخر أن يكون بمعنى : (كيف).

قال ابن قتيبة : (والمعنيان متقاربان)[27] وقيل إنها تأتي بمعنى : متى ، هذا ما ذهب إليه النحاة والمفسرون [28].

وقد ذكر هذا الاسم في سورة آل عمران أربع مرات ، منها :

أ- قال تعالى ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [29] فقوله (أنّى) اسم استفهام ، قال النحاة والمفسرون معناه : (من أين) أي : من أين لك هذا بصيغة السؤال.

قال الزمخشري معناه : (من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا ، وهو آتٍ في غير حينه والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به إليك (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد) [30].

ب- قال تعالى ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ [31]. فمعنى أداة الاستفهام هنا هو : كيف يكون لي ولد ؟. قال ابن كثير معناه : (تقول كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ولا من عزمي أن أتزوج ولست بغياً حاشا لله... ؟) [32].

ت- قال تعالى ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ﴾ [33]. ذكر بعض النحاة لها معنىً ثالثاً هو (متى) ولكنهم لم يذكروا لها نصاً تتعين فيه لهذا المعنى. قال الزركشي : (وتكون بمعنى (متى) كقوله تعالى ﴿ أَنَّى يُحْيِي

﴿ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [34] وقوله ﴿ قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ﴾ ويحتمل أن يكون معناه: من أين) [35]. وقال الرضي: (ويجيء بمعنى (متى)، وقد أوّل قوله تعالى ﴿ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [36] على الأوجه الثلاثة) [37].

فالنحاة والمفسرون تأولوا لهذه الأداة معاني أخرى، والقرآن واضح في أسلوبه دقيق في تعبيره، وإلاّ لِمَ استعمل هذا التعبير ولم يستعمل الذي قالوا به. فقد يكون استبعاد لمعنى السياق الذي أراده النص.

فالغرض من العدول إلى (أنّى) هو توسيع المعنى وزيادته، فبدل أن يكرر عدة تعبيرات لإفادة هذه المعاني جمعها بلفظ واحد.

ويبدو لي أنها تختلف عن (كيف) و(أين) و(متى) لاسيّما في قوة الاستفهام، وبناؤها اللغوي يوحي بذلك، فالتشديد الذي فيها والمدة الطويلة في آخرها يرجحان ذلك، وقد لوحظ في كثير من الألفاظ في العربية أن بناءها اللغوي مشاكل لمعناها، فضلاً عن كون (أنّى) أوسع استعمالاً من هذه التعبيرات فهي تجمع معانيها ربما زادت على ذلك معنى (متى) أو غيره. وهي أقوى استفهاماً من (كيف) و(من أين) فإن في قوله تعالى ﴿ أَنَّى لَكِ هَذَا ﴾ من العجب ما ليس في قولنا: من أين لك هذا، وفي قوله تعالى ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ ﴾ من التعجب ما ليس في (كيف).

وعلى هذا فهي تختلف عن (من أين) و(كيف) من ناحيتين هما:

1- السعة في أدائها المعنى.

2- القوة في الاستفهام [38].

وقد يخرج الاستفهام في هذه الأداة ليؤدي غرضاً بلاغياً مؤثراً في السامع، ففي قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾ [39] فهذا استفهام فيه معنى التعجب.

جاء في التفسير الكبير أن: (للمفسرين فيه قولين الأول: أن الملائكة لما نادوه بلك وبشّروه به تعجب زكريا ـ عليه السلام ـ ورجع في إزالة ذلك التعجب إلى الله تعالى...) [40].

وجاء في تفسير أنوار التنزيل أن: (معناه استبعاد من حيث العادة أو استعظاماً أو تعجباً أو استفهاماً عن كيفية حدوثه) [41].

4- أيّ:

وهي اسم تأتي على معانٍ عدة، منها أن تكون للاستفهام، كما تقول مستفهماً (أيهم حضر) [42]، وتكون معربة مضافة تعرب حسب موقعها من الجملة ولا تضاف إلاّ إلى نكرة وتقع وصفاً لنكرة وحالاً من معرفة، فإن أضيفت إلى مكان كانت مكاناً، وإن أضيفت إلى زمان كانت زماناً، وإن أضيفت إلى غيرهما كانت بحسب ما أضيفت إليه، وذلك نحو قوله تعالى ﴿ **أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا** ﴾ [43]، وقوله ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** ﴾ [44]. وقوله ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ [45] وما إلى ذلك [46].

وقد ذكرت (أي) الاستفهامية في سورة آل عمران مرة واحدة وذلك في قوله تعالى ﴿ **وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ** ﴾ [47] فجاءت (أيّ) هنا مفيدة للاستفهام.

جاء في كتاب مشكل إعراب القرآن: (أيهم يكفل مريم) ابتداء وخبر والجملة في موضع نصب بفعل دلَّ عليه الكلام، تقديره: إذ يلقون أقلامهم ينظرون أيهم يكفل مريم، ولا يعمل في لفظ (أي) لأنها استفهام ولا يعمل في الاستفهام ما قبله) [48].

وقد يخرج الاستفهام في (أي) من معناه الحقيقي وذلك لتأدية أغراض بلاغية تفيد توسيع المعنى منها التعجب. قال الطبرسي في تفسيره لهذه الآية: (وفيه حذف، أي: لينظروا أيهم تظهر قرعته ليكفل مريم، وهذا تعجيب من الله نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ من شدة حرصهم على كفالة مريم والقيام بأمرها. وقيل: هو تعجب من تدافعهم لكفالتها لشدة الأزمة التي لحقتهم حتى وفّق لها خير الكفلاء لها زكريا عليه السلام) (49).

5- كيف:

اسم استفهام مبني على الفتح، يدلُّ على الحال، يخرج من معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى، كالتعجب، والاستبعاد، والنفي، والتنبيه، والتعظيم وغيرها(50)، وذلك لتأدية المعنى المقصود.

وقد وردت (كيف) في سورة آل عمران أربع مرات منها:

أ- قال تعالى ﴿ ***فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ*** ﴾ (51) فقوله (فكيف) اسم استفهام: (موضوعة للسؤال عن الحال ومعناه ها هنا التنبيه بصيغة السؤال على حال من يساق إلى النار.

وفيه بلاغة واختصار شديد، لأنَّ تقديره: أيّ حال يكون حال من اغترَّ بالدعاوى الباطلة حتى أداه ذلك إلى الخلود في النار. ونظيره قول القائل (أنا أكرمك وإن لم تجيء فكيف إذا جئتني). معناه: فكيف إكرامي لك إذا جئتني يريد عظم الإكرام. والتقدير: فكيف حالهم إذا جمعناهم، أي: في وقت جمعهم، لأنه خبر مبتدأ محذوف) (52).

وجاء في مشكل إعراب القرآن أن معنى (كيف) هو: (تهدد ووعيد وموضعها نصب على الظرف والعامل فيها المعنى الذي دلت عليه (كيف)، تقديره: فعلى أيّ حال يكونون حين يجمعون ليوم لا شك فيه، والعامل في (إذا) ما دلت عليه (كيف) والظروف متسع فيها تعمل فيها المعاني التي يدلُّ عليها الخطاب بخلاف المفعولات فهو أصل يكثر دوره في القرآن والكلام) (53).

ويرى الزمخشري أن هذا الاستفهام جاء بمعنى بلاغي آخر والمعنى: (فكيف يصنعون ؟ فكيف تكون حالهم ؟ وهو استعظام لما أعدَّ لهم وتهويل له وأنهم يقعون فيم لا حيلة لهم في دفعه والمخلص، وإن ما حدّثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون).(54)

وذهب أبو حيّان إلى أن هذا الاستفهام معناه: (تعجيب من حالهم واستعظام لعظم مقالتهم حين اختلفت مطامعهم وظهر كذب دعواهم إذ صاروا إلى عذاب ما لهم حيلة في دفعه كما قال تعالى ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ (55).

هذا الكلام يقال عند التعظيم لحال الشيء.... وهذا الاستفهام لا يحتاج إلى جواب، وكذا أكثر الاستفهامات في القرآن لأنها من عالم الشهادة وإنما استفهامه تعالى تقريع) (56).

فأصل (كيف) للاستفهام لكن قد تعرض لها معانٍ تفهم من سياق الكلام أو من قرينة الحال، وهناك من العلماء من قدّر (كيف) بـ (أي) في الاستفهام، وهو تقارب في المعنى. والذي قارب بين الأداتين ههنا هو خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى أغراض أخرى كالتعجب، والاستنكار، والتنبيه وغيرها، فتبدو الأداتان متقاربتان والحقيقة هي اقتراب الأغراض (57).

ويبدو من خلال ما تقدّم من تقدير، واعراب، وتفسير لـ (كيف) أنها مرتبطة بـ (حال) وهذه الحال محذوفة.

جاء في التفسير الكبير: (وفي الكلام حذف، والتقدير: فكيف صورتهم وحالهم، ويحذف الحال كثيراً مع كيف لدلالته عليها، تقول: كنت أكرمه وهو لم يزرني، فكيف لو زارني. أي: كيف حاله إذا زارني. وأعلم أن هذا الحذف يوجب مزيد بلاغة لما فيه من تحريك النفس على استحضار كل نوع من أنواع الكرامة في قول القائل: لو زارني، وكل نوع من أنواع العذاب في هذه الآية)[58].

ب- قال تعالى ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾[59].

فقوله (كيف) اسم استفهام خرج من معناه الحقيقي لتأدية أغراض بلاغية في غاية الدقة والروعة في التعبير. قال الراغب في مفرداته: (وكل ما أخبر الله تعالى بلفظة (كيف) عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو توبيخاً[60]، نحو قوله ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ...[61] ﴾[62].

وفي معنى (كيف) في هذه الآية قال ابن الجوزي: (إن (كيف) هاهنا لفظها لفظ الاستفهام ومعناها الجحد، أي: لا يهدي الله هؤلاء)[63].

وكذلك ذهب أبو حيّان إلى أن المعنى هو: (ليس يهدي كقول الشاعر[64]:

كيفَ نومي على الفراشِ ولما يشملُ الشام غارةٌ شعواء[65]

ومعنى هذا الكلام أن (كيف) خرجت إلى معنى النفي وهو غرض بلاغي، ولتضمنها معنى النفي شاع أن يقع بعدها (إلاّ) ومن ذلك قوله تعالى ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ[66] ﴾[67].

ولهذا الاسم معانٍ أخرى منها أنه يفيد الاستبعاد، فقد ذكر البيضاوي في تفسيره لهذه الآية أن معناه: (استبعاد لأن يريهم الله فإن الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد) (68).

وكذلك يحتمل معنى (التعجيب والتعظيم لكفرهم بعد الإيمان أي: كيف يستحق الهداية من أتى بما ينافيها بعد التباسه بها ووضوحها له فاستبعد حصولها لهم مع شدة الجرائم) (69).

فهذه الأغراض البلاغية من تعجب ونفي واستعظام واستبعاد ضمنت معنى (كيف) وذلك للتوسع في المعنى وبلاغة في الكلام. وللاختصار الذي شاع كثيراً في القرآن لإيصال المعنى إلى ذهن السامع في أقصر وقت واقل كلام وكما يقال: خير الكلام ما قلَّ ودل، والله أعلم.

وهناك مواضع أخرى في سورة آل عمران ذكرت فيها (كيف) وهي آية 6، 101.

6- ما:

اسم استفهام مبني على السكون، ذهب النحاة إلى أنها تكون للسؤال عن ذوات ما لا يعقل وأجناسه وصفاته وكذلك للسؤال عن صفة من يعقل (70). فمن الأول قولك: ما عندك ؟ فيقال: كتاب. وتقول: ما في الدار ؟ فيقال: فرس، ما لونها ؟ فيقال: أسود. وتكون لصفات من يعقل، كأن تقول: ما محمد ؟ فيقال: كاتب أو شاعر.

وتأتي للسؤال عن حقيقة الشيء. قال تعالى ﴿ ***وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ*** ﴾ (71). فهذا سؤال عن حقيقته سبحانه (72).

وقد يخرج الاستفهام فيها إلى أغراض متعددة كالتفخيم والتعظيم والاستبعاد والحث وما إلى ذلك من معانٍ0 (73) وذلك زيادة في المعنى البلاغي ورصانة في الأسلوب وقوة في التعبير.

وقد وردت (ما) الاستفهامية في سورة آل عمران سبع مرات، وفي كل المواضع التي ذكرت فيها محذوفة الألف متصلة بحرف الجر الذي هو اللام على صيغة (لِمَ) واصلها (لما).

جاء في إعراب القرآن للنحاس: (حذفت الألف لأن حرف الجر عوض منها وللفرق بين الاستفهام والخبر، ولم يجزَ الحذف في الخبر لأن الألف متوسطة)[74]. والفتحة دليل على حذفها. وقد علل الرضي لذلك بقوله: (وقد تحذف ألف (ما) الاستفهامية في الأغلب عند انجرارها بحرف جر أو مضاف، وذلك لأن لها صدر الكلام لكونها استفهاماً ولم يمكن تأخير الجار عنها فقدّم عليها وركب معها حتى يصير المجموع ككلمة واحدة موضوعة للاستفهام، فلا يسقط الاستفهام عن الصدر، وجعل حذف الألف دليل التركيب) [75].

ويرى السيوطي أن حذف ألف (ما) الاستفهامية المجرورة مقيس وأن إبقاءها شاذ. أما ابن هشام فكان يرى أن إثبات الألف في مثل قول حسّان [76]:

على ما قامَ يشتمني لئيمٌ كخنزيرٍ تمرّغَ في رمادِ

إنما وقع لضرورة الشعر. وإن إثبات الألف في قراءة عكرمة وعيسى [77]: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ❖ عَنْ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ [78]. إنما هو نادر، وإنه لا يجوز حمل القراءة المتواترة على ذلك لضعفه(79) .

ومن ورودها في سورة آل عمران:

أ- قال تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [80].

جاء في الكشاف أن المعنى: (زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان منهم وجادلوا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ والمؤمنين فيه. فقيل لهم أن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ ألف سنة، وبينه وبين عيسى ـ عليه السلام ـ ألفان. فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلاّ بعد عهده بأزمنة متطاولة) (81). فأنكر الله ـ جلَّ وعلى ـ عليهم هذا الإدعاء، والمعروف عن اليهود منذ ذلك الوقت أنهم أصحاب أباطيل وادعاءات كاذبة وافتراءات ما أنزل الله بها من سُلطان.

وذهب أبو حيّان إلى أن (معنى هذا الاستفهام الإنكار) (82). وهو غرض بلاغي خرج إليه الاستفهام من معناه الحقيقي.

ب- قال تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (83).

جاء في مجمع البيان أن معنى الآية: (أي: قل يا محمد لهم (لِمَ تكفرون بآيات الله) أي: المعجزات التي أتاها محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ والعلامات التي وافقت في صفته ما تقدمت البشارة به..... فكأنه قيل يا من يُقر بأنه من أهل كتاب الله (لَمَ تكفرون بآيات الله) وللفظ لفظ استفهام والمراد به التوبيخ، وإنما جاز التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث إنه سؤال يعجز عن إقامة العذر، فكأنه قال هاتوا العذر في ذلك إن أمكنكم) (84).

وذهب البيضاوي في تفسيره لهذه الآية أن هذا الاستفهام جاء لمعنى بلاغي آخر وهو (المبالغة في التقريع ونفي العذر لهم) (85).

ويرى أبو حيّان أن هذا الاستفهام يراد به الإنكار وهو من فنون البلاغة والفصاحة [86]. فقد يخرج الاستفهام لمعانٍ متعددة وذلك فصاحة في الكلام وزيادة في بلاغته.

أما المواضع الأخرى التي وردت فيها (ما) الاستفهامية فهي في آية 66، 70، 71، 99، 183.

7- مَنْ:

اسم استفهام مبني على السكون، وتكون للسؤال عمن يعقل نحو: مَنْ حضر، فتقول: خالد. وكقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلاً ﴾ [87]، وقوله ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَه ﴾ [88]، ويُسأل بها عن الأسماء أو الصفات [89].

وقد تخرج (من) عن الاستفهام الحقيقي إلى أغراض بلاغية أخرى كالنفي، والتعجب، والتشويق، والإلزام وما إلى ذلك (90).

وقد وردت (من) في سورة آل عمران ثلاث مرات، منها:

أ- قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ﴾ [91].

فقوله (من) اسم استفهام جاء على معنى بلاغي دقيق وهو النفي وذلك لتكون دلالته في المعنى أقوى.

قال الفراء المعنى: (ما يغفر الذنوب إلاّ الله فجعل على المعنى وهو في القرآن في غير موضع) [92].

وجاء في مجمع البيان أن: (قوله (إلاّ الله) يرتفع (الله) حملاً على المعنى لا على اللفظ، إذ ليس قبله جحد، وتقديره: وهل يغفر الذنوب أحد إلاّ

الله، أو وهل رأى أحد يغفر الذنوب إلاّ الله. ومعناه: لا يغفر الذنوب إلاّ الله، لأن الاستفهام قد يقع موقع النفي) [93].

والحاصل أنه استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين، والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة [94].

والذي يبدو أن ثمة علاقة في المعنى بين اسم الاستفهام وأداة الاستثناء في الآية الكريمة من جهة أن الغرض الذي خرج له الاستفهام هو النفي، فعليه يكون الاستثناء متصل من الضمير المستتر في الفعل (يغفر)، والكلام منفي عن طريق الاستفهام المجازي الإنكاري، وعليه (إلاّ) أداة حصر ولفظ الجلالة يدلُّ من الفاعل المضمر للفعل (يغفر)، ومن زعم أنه فاعل للفعل فقد أبعد ؛ لأنه ليس مفرغاً ليصبح زعمه ولو كان صحيحاً لما صحت قراءة النصب على الاستثناء (والله)[95].

ب- قال تعالى ﴿ ***إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ*** ﴾ [96].

إذا جاء (ذا) بعد اسم الاستفهام (من) أو (ما) فتعرب على وجهين:

الأول: أن تكون اسم إشارة، نحو قولنا: من ذا، ومن ذا واقفاً فتكون (من) مع (ذا) كلمة واحدة مركبة تفيد الاستفهام.

الثاني: أن تكون اسماً موصولاً، نحو قولنا: من ذا جاءك، فقولنا (من) اسم استفهام وهو مبتدأ و(ذا) أسم موصول بمعنى الذي وهو خبر (من) وما بعده صلة الموصول [97].

فالآية الكريمة احتملت المعنى الأول، وذلك بأن تكون كلمة واحدة مركبة تفيد الاستفهام. وهذا ما ذهب إليه المفسرون.

جاء في الكشاف أن المعنى: (التنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه) [98]. ومعنى هذا الكلام أن الاستفهام خرج إلى معنى التنبيه.

وذهب الطبرسي إلى أن: (من) ها هنا معناه التقرير بالنفي في صورة الاستفهام، أي: لا ينصركم أحد من بعده، وإنما تضمن حرف الاستفهام معنى النفي لأن جوابه يجب أن يكون بالنفي فصار ذكره يغني عن ذكر جوابه وكان أبلغ لتقرير المخاطب فيه) [99].

وهذا الاستفهام جاء على صورة بلاغية بديعة من حيث إنه تضمن معنى النفي. قال أبو حيّان: (وجاء جواب (إن ينصركم الله) بصريح النفي العام، وجواب (وإن يخذلكم) يتضمن النفي وهو الاستفهام، وهو من تنويع الكلام في الفصاحة والتلطف بالمؤمنين حتى لا يصرّح لهم بأنه لا ناصر لهم. بل أبرز ذلك في صورة الاستفهام الذي يقتضي السؤال عن الناصر، وإن كان المعنى على نفي الناصر، لكن فرّق بين الصريح والمتضمن، فلم يجرِ المؤمنين في ذلك مجرى الكفار الذي نصَّ عليهم بالصريح إنه لا ناصر لهم...) [100].

وتحتمل الآية معنى آخر، وذلك بأن تكون (من) اسم استفهام و(ذا) اسم إشارة كقوله تعالى ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ [101]، والمعنى: من هذا [102]، فحذف الهاء التي هي للتنبيه من اسم الإشارة.

والقرآن الكريم استعمل العبارتين، فمرة يذكر اسم الاستفهام (من) مع اسم الإشارة، ومرة يذكر اسم الاستفهام مع (ذا) بحذف حرف التنبيه، وهذا إنْ دلَّ على شيء فدلالته على بلاغة التعبير القرآني وجماليته، فضلاً عن زيادة في المعنى.

ويبدو أنه إذا قرن اسم الإشارة بـ (ها) التنبيه كان آكد وأقوى وذلك لأنَّ فيه زيادة تنبيه. فقولك: من هذا الذي فعل ؟ آكد وأقوى من قولك: من ذا

الذي فعل ؟ وذلك أن السائل في العبارة الأولى كأنه يجتهد في الاستخفاف بالفاعل نحو أن تقول: من هذا الذي يستطيع أن يرد عليَّ ؟ أو تعظيمه، كأن تقول: من هذا الذي اقتحم النار وأنقذ الطفل. ويدلُّ على ذلك الاستعمال القرآني أيضاً، فالآية التي نحن بصددها لم يجيء بـ (ها) التنبيه، وقال تعالى في موضع آخر ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَكُمْ يَنصُرُكُم مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ۝ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (103).

وسبب ذلك ـ والله أعلم ـ أن التحدي في الآيتين الأخيرتين أشد وأقوى، وهو واضح من السياق، فالآية الأولى ـ والتي نحن بصددها ـ خطاب للمؤمنين. والثانية في الكلام على الكافرين في سياق التخويف من قدرة الله وبطشه.

فالسياق والجو مختلف في الآيتين، فالأولى مقام رحمة ومسح على جراح المؤمنين ومقام عفو ومغفرة بعد معركة أُحد، وأما الثانية فمقام ترهيب وإنذار وتخويف وتحذير فجاء بـ (ها) التنبيه زيادة في التحذير والتنبيه وهو ما يقتضيه المقام (104).

8- هل:

وهي حرف استفهام مبني على السكون، مختصة بالتصديق فيجاب عنها بنعم أو لا، وذلك نحو قولنا: هل قام زيد، وكقوله تعالى ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ ﴾ (105)، فلا يستفهم بها إلاّ عن مضمون الجملة، أي: عن الإسناد الذي فيها (106).

وقد تخرج عن الاستفهام الحقيقي إلى أغراض بلاغية متعددة، منها الأمر، والتمني، والعرض، والتحذير، والتهويل وما إلى ذلك (107).

وقد ذكرت هل في سورة آل عمران مرة واحدة، وذلك عند قوله تعالى ﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنْ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (108).

جاء في الكشاف أن: (معناه: هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط، يعنون النصر والإظهار على العدو) (109).

وذهب الطبرسي إلى أنهم: (قالوا ذلك على سبيل التعجب والإنكار، أي نطمع أن يكون لما الغلبة على هؤلاء، أي: ليس لنا من ذلك شيء) (110).

أما ابن الجوزي فيرى أن (لفظة لفظ الاستفهام ومعناه: الجحد، تقديره: ما لنا من الأمر من شيء) (111).

وما قال به المفسرون هو تفسير للمعنى، والمعنى يحتمل أكثر من وجه، فضلاً عن كون حروف الاستفهام تخرج عن معناها الحقيقي إلى أغراض بلاغية متعددة. فالأداة الواحدة قد تخرج إلى أغراض بلاغية كثيرة في الآية الواحدة وذلك تناسباً لمعنى السياق. وهذا لا يعني أن الأداة أو الحرف قد خرج عن الاستفهام، بل هو يفيد التعجب أو الإنكار أو النفي ويشوبه الاستفهام فهو لا يجرد منه، والله أعلم.

أما من جهة القراءة، فقد ورد في سورة آل عمران موضعان قُرِيء فيهما على الاستفهام الأول: قلب فيه الحرف من (ها) التنبيه إلى (الهمزة) وأُريد بها الاستفهام، وهي قراءة ابن كثير (112)، وذلك في قوله تعالى ﴿ هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (113) فقوله (هأنتم) الهاء للتنبيه في قراءة الجمهور، وهي رواية حفص عن عاصم.

جاء في كتاب معاني القراءات: (وأما قراءة ابن كثير (هأنتم) بوزن (هعنتم) فكأنه ذهب إلى أن الأصل (أأنتم) على الاستفهام ثم قلبت الهمزة الأولى هاء كما يقال هراق الماء وأراقه) [114].

قال أبو عمرو بن العلاء: (ها أنتم الأصل منه (أاأنتم) بهمزتين بينهما ألف، كما قال [115] أاأنت أم أمّ سالم. ثم ثقل فأبدلوا من الهمزة هاء) [116].

إذن فأصل هذه الهاء همزة كما ذهب إليه كثير من النحاة والمفسرين والذي يعضد ذلك قراءة ابن كثير. قال الأزهري في معانيه: (وهذا أحسن من قول من جعل (ها) تنبيهاً في (هاأنتم)) [117].

والذي يبدو أنه (من حقق فعلى (أصل لأنها حرفان، ومن لم يمد ولم يهمز فللتخفيف من غير إخلال) [118]. وليس تفضيل قراءة على قراءة أحسن، والله أعلم.

أما معنى هذا الاستفهام فجاء في الكشاف: (وعن الأخفش (هاأنتم) هو (أأنتم) على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء، ومعنى الاستفهام التعجب من حالتهم) [119].

أما الموضع الثاني فهو في قوله تعالى ﴿ ***إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ*** ﴾ [120]. فقوله (أن يؤتى) قرءها ابن كثير [121]: (أأن يؤت) على الاستفهام.

جاء في كتاب مشكل إعراب القرآن: (فأما من مدَّ واستفهم فإنه أتى به على معنى الإنكار من اليهود أن يؤتى أحد مثل ما أتوا حكاية عنهم، فيجوز أن تكون (أن) في موضع رفع بالابتداء، إذ لا يعمل في (أن) ما قبلها لأجل استفهام وخبر المبتدأ محذوف تقديره: أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم تصدقون أو تقرون

ونحوه. وحسن الابتداء بأن لأنها قد اعتمدت على حرف الاستفهام فهو في التمثيل بمنزلة: أزيد ضربته.

ويجوز أن تكون (أن) في موضع نصب وهو الاختيار كما كان في قولك: أزيداً ضربته، النصب الاختيار، لأن الاستفهام عن الفعل، فتضمر فعلاً بين الألف وبين(أن) تقديره: أتذيعون أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وأتشيعون... ما دلَّ عليه الإنكار الذي قصدوا إليه بلفظ الاستفهام. ودلَّ على قصدهم لهذا المعنى قوله تعالى عنهم فيما قالوا لأصحابهم ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (122)... و(أحد) في قراءة من مدَّ بمعنى واحد، وإنما جمع في قوله (ليحاجوكم) لأنه رده على معنى (أحد)، لأنه بمعنى الكثرة، لكن (أحد) إذا كان في النفي أقوى في الدلالة على الكثرة منه إذا كان في الإيجاب، وحسن دخول (أحد) بعد لفظ الاستفهام لأنه بمعنى الإنكار والجحد...) (123).

ويرى الزمخشري أن قوله: (وأن يؤتى) معناه: لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشي آخر، يعني أن ما بكم من حسد والبغي أن يؤتى أحدمثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير: (أأن يؤتى أحد) بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى: ألأن يؤتى أحد) (124).

والذي يبدو أن هذه القراءة في الآية الكريمة هي من الآيات التي يرد فيها إشكال في المعنى والإعراب.

قال الرازي في تفسيره لهذه الآية: (واعلم أنّ هذه الآية من المشكلات الصعبة فتقول هذا إما أن يكون من جملة كلام الله تعالى، أو يكون من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم: (ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم) وقد ذهب إلى كل واحد من هذين الاحتمالين قوم من المفسرين.

أما الاحتمال الأول ففيه وجوه، الأول: قرأ ابن كثير (آن يؤتى) بمد الألف على الاستفهام والباقون بفتح الألف من غير مد ولا استفهام، فإن أخذنا بقراءة ابن كثير، فالوجه ظاهر، وذلك لأن هذه اللفظة موضوعة للتوبيخ كقوله تعالى ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [125]، والمعنى: أمن أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ما أوتيتم من الشرائع ينكرون أتباعه؟ ثم حذف الجواب للاختصار، وهذا الحذف كثير، يقول الرجل بعد طول العتاب لصاحبه وتقديره عليه ذنوبه بعد كثرة إحسانه إليه: أمن قلة إحساني إليك أمن إهانتي لك ؟ والمعنى: أمن أجل هذا فعلت ما فعلت ؟ ونظيره قوله تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [126].

وأما قراءة من قرأ بقصر الألف من (أن) فقد يمكن أيضاً حملها على معنى الاستفهام كما قرئ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [127] بالمدِّ والقصر..) [128].

الخاتمـــة

لقد توصل هذا البحث إلى نتائج كان الباعث لها هو الحرص على بيان وتوضيح ما استعمل من حروف الاستفهام وتعدد أغراضها في سورة آل عمران وفيما يأتي أهمها :

1- إنَّ الهمزة هي أكثر حروف الاستفهام استعمالاً في هذه السورة إذ وردت إحدى عشرة مرة، تأتي بعدها (ما) ولكنها لم تذكر على صورتها وإنما ذكرت مع لام الجر على صورة (لِمَ) على صيغة السؤال في كل السورة.

2- قد يخرج الحرف الواحد إلى أكثر من معنى بلاغي وهذا ما رأيناه عند المفسرين، فمرة يكون الحرف للتعجب أو التقرير أو التوبيخ في الآية نفسها ومردُّ ذلك إلى الإعجاز البياني لكتاب الله العزيز.

3- لم يكتفِ الباحث بحروف الاستفهام المذكورة في السورة، بل تعدى إلى تناول ذكر القراءات التي فيها استفهام، وكان ذلك في موضعين.

4- وجدتُ أن حروف الاستفهام واسعة الدلالة في المعنى، وهذا إن دلَّ على شيء فيدلُّ على بلاغة القرآن الكريم (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديهِ ولا من خلفهِ) فهي تجمع عدة تعابير في آن واحد. والله أعلم.

هوامش البحث:

1- كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: 1120/2، البلاغة العربية: 94.
2- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: 310.
3- مغني اللبيب: 20 - 23
4- آل عمران: 20.
5- معاني القرآن: 390/1.
6- المائدة: 91.
7- الكشاف: 420/1.
8- معاني النحو: 613/4.
9- آل عمران: 106.
10- الكشاف: 453/1.
11- معاني القرآن: 455/1، مجمع البيان: 616/1.
12- البحر المحيط: 27/3.
13- الرعد: 16.
14- السجدة: 2- 3.
15- الأشباه والنظائر في النحو: 809/4، وينظر الكتاب: 195/3.
16- ينظر: تأويل مشكل القرآن: 291، مغني اللبيب: 47- 53، همع الهوامع: 237/5.
17- مغني اللبيب: 50.
18- آل عمران: 142.
19- مجمع البيان: 647/1.
20- تفسير ابن كثير: 542/1.

21- البقرة: 214.
22- ينظر معاني القرآن للزجاج: 285/1، الكشاف: 466/1، زاد المسير: 232/1، إملاء ما منَّ به الرحمن: 171/1.
23- ينظر همع الهوامع: 242/5.
24- معاني القرآن: 132/1.
25- ينظر تفسير بحر العلوم: 174/2.
26- شرح المغني وشواهده: 312/1.
27- تأويل مشكل القرآن: 280.
28- ينظر شرح الرضي على الكافية: 203/3، البرهان: 275/4، معاني النحو: 4/ 627.
29- آل عمران: 37.
30- الكشاف: 427/1.
31- آل عمران: 47.
32- تفسير ابن كثير: 485/1، وينظر زاد المسير: 384/1.
33- آل عمران: 165.
34- البقرة: 259.
35- البرهان: 276/4، وينظر أساليب الطلب: 408.
36- البقرة: 223.
37- شرح الرضي: 203/3.
38- معاني النحو: 628/4- 629.
39- آل عمران: 40.
40- التفسير الكبير: 38/8.

41- أنوار التنزيل: 205/1.
42- المفصل: 185.
43- التوبة: 124.
44- لقمان: 34.
45- الشعراء: 227.
46- ينظر: شرح الرضي: 59/3، مغني اللبيب: 82، شرح ابن عقيل: 65/2، معاني النحو: 629/4.
47- آل عمران: 44.
48- مشكل إعراب القرآن: 159/1.
49- مجمع البيان: 565/1.
50- معاني النحو: 4/ 633 0
51- آل عمران: 25.
52- مجمع البيان: 546/1.
53- مشكل إعراب القرآن: 154/1.
54- الكشاف: 421/1.
55- البقرة: 111.
56- البحر المحيط: 435/2.
57- معاني النحو: 632/4.
58- التفسير الكبير: 219/7.
59- آل عمران: 86.
60- وأحسبها: (توبيخ) بالرفع وقد يكون سهواً.
61- البقرة: 28.

62- المفردات: 463.
63- زاد المسير: 418/1، وينظر تفسير بحر العلوم: 104/2.
64- البيت لعبد الله بن قيس الرقيات، ديوانه: 95.
65- البحر المحيط: 541/5.
66- التوبة: 7.
67- البرهان: 356/4، وينظر أساليب الطلب: 400.
68- أنوار التنزيل: 218/1.
69- البحر المحيط: 541/2.
70- المقتضب: 51/2، معاني الحروف: 59.
71- الفرقان: 6.
72- معاني النحو: 634/4.
73- المصدر نفسه: 4/ 635
74- إعراب القرآن: 207، وينظر المفصل: 183، مغني اللبيب: 589، في النحو العربي نقد وتوجيه: 293.
75- شرح الرضي: 50/3، وينظر معاني القرآن للزجاج: 427/1، البرهان: 428/4.
76- ديوانه: 79.
77- ينظر الكشاف: 206/4.
78- النبأ: 1.
79- أساليب الطلب: 385.
80- آل عمران: 65.
81- الكشاف: 435/1.

82- البحر المحيط: 509/2.
83- آل عمران: 98.
84- مجمع البيان: 609/2.
85- أنوار التنزيل: 222/1.
86- البحر المحيط: 18/3.
87- النساء: 122.
88- البقرة: 130.
89- معاني النحو: 640/4، وينظر معاني الحروف: 226، أساليب الطلب: 388.
90- معاني النحو: 4/ 640
91- آل عمران: 160.
92- معاني القرآن: 234/1، معاني القرآن للزجاج: 469/1.
93- مجمع البيان: 641/2، وينظر تفسير بحر العلوم: 158/2، التفسير الكبير: 10/9.
94- أنوار التنزيل: 222/1.
95- الاستثناء في القرآن الكريم: 32.
96- آل عمران: 62.
97- ينظر شرح قطر الندى: 102، شرح ابن عقيل: 152/1، معاني النحو: 640/4.
98- الكشاف: 475/1.
99- مجمع البيان: 667/2.
100- البحر المحيط: 106/3.

101- البقرة: 245.

102- شرح الرضي: 64/3، وينظر مغني اللبيب: 315.

103- المُلك: 20- 21.

104- معاني النحو: 641/4- 642.

105- الأعراف: 44.

106- ينظر تأويل مشكل القرآن: 288، معاني الحروف: 101، البرهان: 457/4، مغني اللبيب: 333.

107- مغني اللبيب: 334 - 335

108- آل عمران: 154.

109- الكشاف: 472/1، وينظر البحر المحيط: 94/3.

110- مجمع البيان: 661/2، وينظر التفسير الكبير: 47/9.

111- زاد المسير: 481/1.

112- ينظر كتاب معاني القراءات: 104، النشر: 240/2.

113- آل عمران: 66.

114- كتاب معاني القراءات: 104، وينظر زاد المسير: 403/1.

115- البيت لذي الرمة: ديوانه: 622.

116- إعراب القرآن للنحاس: 217، وينظر كشف المشكل في النحو: 217/2.

117- كتاب معاني القراءات: 104.

118- التفسير الكبير: 89/8.

119- الكشاف: 436/1، وينظر أنوار التنزيل: 212/1.

120- آل عمران: 73.

121- ينظر كتاب معاني القراءات: 104، البحر المحيط: 518/2، النشر: 240/2.

122- البقرة: 76.

123- مشكل إعراب القرآن: 163/1، وينظر معاني القرآن للفراء: 222/1، مجمع البيان: 586/2.

124- الكشاف: 437/1، وينظر أنوار التنزيل: 214/1.

125- القلم: 14- 15.

126- الزمر: 9.

127- البقرة: 6.

128- التفسير الكبير: 96/8، وينظر البحر المحيط: 518/2.

المصادر والمراجـــع

- أساليب الطلب بين النحو والبلاغيين: د. إسماعيل قيس الأوسي، بيت الحكمة، بغداد.
- الاستثناء في القرآن الكريم: حسن طه الحسن، مطبعة الزهراء الحديثة، العراق ـ موصل، 1990 م.
- الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي (911هـ) تحـ، أحمد مختار شريف، دمشق، 1987م.
- إعراب القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت38هـ) اعتنى به الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة 2، 2008م.
- إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه إعراب القرآن والقراءات في جميع القرآن: للإمام محب الدين أبي البقاء العكبري (ت 616هـ) دار العلم للجميع، دون تحقيق.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت691هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1988م.
- البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ) قدّم له: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، 2005م.
- البلاغة العربية ـ المعاني والبديع: د. أحمد مطلوب، مؤسسة دار الكتب العلمية، جمهورية العراق ـ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط1، 1980م.
- تأويل مشكل القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ) تعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2002م.
- تفسير البحر المحيط: للإمام محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي (ت745هـ) تحـ: الشيخ عادل أحمد والشيخ علي بن محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط2، 2007م.

- تفسير القرآن العظيم: للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت 774هـ) قدّم له عبد القادر الأرناؤوط، دار الفيحاء، دمشق، د.ت.
- تفسير القرآن الكريم المسمى (بحر العلوم): للإمام أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت 375هـ) تحـ: د. عبد الرحيم أحمد زقة، مطبعة الرشاد، بغداد، 1985م.
- التفسير الكبير المسمى (بمفاتيح الغيب): للإمام محمد فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار الكتب العلمية، ط2، د.ت.
- ديوان حسّان بن ثابت ـ تحـ: د. سيد حنفي حسنين، القاهرة، 1974م.
- ديوان ذي الرمة، بشرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، تحـ: د. عبد القدوس أبو صالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1972م.
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ـ تحـ: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 1985م.
- زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ) تعليق: زهير شاوش، المكتب الإسلامي، ط4، 1987م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت 769هـ) تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط14، 1965م.
- شرح الرضي على الكافية: لرضي الدين الاستراباذي (ت 688هـ) تعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، 1978م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى: لابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) تحـ: الفاخوري، دار الإنجيل، بيروت ـ لبنان، ط1، 1988م.
- شرح المغني وشواهده: لابن هشام الانصاري، تحـ: عبد الله إسماعيل الصاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1958م.
- في النحو العربي، نقد وتوجيه: د0 مهدي المخزومي، ط1، بيروت 1964 0

- الكتاب: لإمام النحاة أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت 180هـ) تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
- كتاب معاني القراءات: للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ) تحـ: الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1999م.
- كتاب المقتصد في شرح الإيضاح: لعبد القاهر الجرجاني (ت 470هـ)، تحـ: د. كاظم بحر مرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام في جمهورية العراق، دار الرشيد للنشر، 1982م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، دار الفكر، ط1، 1984م.
- كشف المشكل في النحو: لعلي بن سليمان الحيدرة الحسيني اليمني (ت 599هـ) تحـ: د. هادي عطية مطر، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1984م.
- مجمع البيان لعلوم القرآن: للإمام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت548هـ) مطبعة رويال كرافك د0 ت.
- مشكل إعراب القرآن: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ) تحـ: حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الإعلام ـ الجمهورية العراقية، بغداد، 1975م.
- المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ) ضبطه: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، 2008م.
- المفصّل في صنعة الإعراب: لأبي القاسم جار الله الزمخشري: قدّم له د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1999م.
- المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) تحـ: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1994م.

- معاني الحروف: للإمام أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت 384هـ) تحـ: الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية، صيدا ـ لبنان، 2008م.
- معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ) تحـ: أحمد يوسف نجاتي وآخرين، در الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 2001م.
- معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت311هـ) تحـ: د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1997م.
- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، 1987م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري، تحـ: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، 2007م.
- النشر في القراءات العشر: لأبي الخير محمد الدمشقي المشهور بابن الجزري (ت 833هـ) صححه: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، د.ت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ) تحـ: عبد العال سالم مكرم، دار البحث العلمية، الكويت، 1977م.